العنف ضد المرأة: دراسة حالة المجتمع الجزائري من خلال التنشئة الاجتماعية والهيمنة الذكورية

Violence against Women :a Case study of Algerian Society through Socialization and mal Domination

ط.د حطاب فتيحة*

جامعة غليزان (الجزائر)

مخبر الدراسات الاجتماعية والنفسية والأنثروبولوجية،

fatiha.hattab@univ-relizane.dz

د.درويش محمد

جامعة غليزان،

(الجزائر)

mohameddrouiche81@gmail.com

تاريخ الاستلام:2022/01/20 القبول:2022/03/13

تاريخ النشر:2022/05/13

ملخص:

يتمحور موضوع هذه الورقة البحثية في دراسة ظاهرة العنف ضد المرأة من خلال بعض القراءات التنظيرية التي اهتمت بهذا الموضوع لإسقاطها على وضعية المرأة ومكانتها في المجتمع الجزائري إنطلاقا من عملية التنشئة الإجتماعية وأساليبها والهيمنة الذكورية والنظام الأبوي البطريكي الراسخ في ثقافة المجتمع وذهنياته ؛كمرجعية لمحاولة الفهم لعلاقات الهيمنة والخضوع العمودية بين الجنسين من خلال مفاهيم الرجولة والأنوثة والتقسيم الجنسي للأدوار الإجتماعية لكل نوع إجتماعي والتي تظهر من خلال صور دونية سلبية عن المرأة وتترجم إلى ممجموعة الممارسات العنفية القهرية والتمييزية الواقعة عليها .

كما ويهدف هذا البحث الى الكشف عن تأويلات العنف في المجتمع الجزائري ومنابعه ناطلاقا من بعض المقاربات التي دخلت عمق التحليل السوسيولوجي؛كنظرية الراديكالية النسوية وتحليلات بيار بورديو للهيمنة الذكورية ونظرية التنشئة الإجتماعية، التي تناولت هذا الموضوع وإهتمت به وإسقاط إفتراضاتها على ظاهرة العنفعلى المرأة في المجتمع الجزائري.

الكلمات المفتاحية: عنف؛ عنف ضد المرأة؛ تنشئة اجتماعية؛ هيمنة ذكورية؛ تأثير.

Abstract:

this research paper is concentrated on studying the phenomenon of violence against women on the basis of some theoretical readings that focused on this topic in order to shed light on the status and position of women in Algerian society,the proceeding from the process of socialization and its methods mal domination and the patriarchal system rooted in the culture and mentalities of society as a reference to try to understand the relations of vertical domination and subgugation between the genders through the concebts of masculinity and feminity, and the gender division of the social roles for each social type which appears through negative inferior images of women which is translated into a set of forceful practices and discriminatory violence؛ This research paper aims to reveal interpretations of violence in Algerian society and its sources based on some approaches that have entered the depth of sociological analysis , such as the theory of depth of sociological analysis such as the theory of feminist radicalism pierre bourdieu's analyzes of male dominance, and the theory of socialization which dealt with this topic profoundly and dropped its assumptions on the phenomenon of violence against women in the Algerian society...

KeyWords: Violence ; Violence against Women ; Socialization ; Male domination ; Influence.

*المؤلف المرسل

مقدمة

قضية المرأة من أهم قضايا المجتمع لأنه لا يرقى المجتمع وينهض ما لم ينهض وضع المرأة بإعتبارها نصف المجتمع ،لذا حضيت المرأة بإهتمام واسع لكشف أهم اشكال العنف والتمييز الواقع عليها الذي يعيق عملية التنمية والتطور في المجتمع .

فالعنف يمثل عودة الإنسان إلى حالته البدائية الأولى ،والتمييز ضد المرأة إشكالية عانت منها في كل العصور والحضارات ولازال قائما يطرح نفسه كل مرة بشكله التقليدي أو يتخذ أشكالا جديدة بل والأبعد من ذلك كان ومازال من أسس التربية والتنشئة الإجتماعية ،ويعبر عن ثقافة وإديولوجية المجتمع لما يتمتع به من قبول ومشروعية إجتماعية مبررة تعاني فيه المرأة كل أشكال التبخيس والإستلاب والتمييز والعنف كظاهرة إجتماعية لا يقتصر على جماعة معينة أو ثقافة أو تقليد ما بل هو إشكالية ترتبط بجذور تاريخية تعبر عن اللامساواة وإختلال التوازن بين الجنسين والتمييز تغذيه الثقافة والفكر السائد .

فقضية العنف ضد المرأة أصبحت من ضمن القضايا الكبيرة المطروحة بقوة في القرن الحالي ومن متطلبات حقوق الإنسان الأولى في ظل التطورات والتغيرات الجديدة ، حيث أصبح من غير المقبول سواء كان في الأسرة أو المجتمع أو حتى في العلاقات الخاصة بين المرأة والرجل خصوصا في هذه الظرفية والتحولات التي مست كل المجالات التي عرفها المجتمع الجزائري وتغير الوضعية والمكانة للمرأة وظفرها بأدوار مختلفة عما كانت عليه كمّا وشكلاّ استمراره وتحقيق تنمية بدون إشراك المرأة في هذه العملية، لذا كان لابد من البحث في التحليلات السوسيولوجية السابقة لفهم ظاهرة العنف من خلال التنشئة الاجتماعية والهيمنة الذكورية ، لذلك سنتطرق لبعض المقاربات النظرية لفهم واقع العنف ضد المرأة في المجتمع الجزائري من خلال اسقاطات قضايا ونصوص هذه النظريات لكشف تأويلات العنف ضد المراة .

أ– مفاهيم الدراسة :

1ـ العنف :إختلفت تعريفات العنف كمفهوم من ثقافة لأخرى وعليه يمكن تعريفه **لغة** :"كل قول او فعل ضد الرأة وهو عكس اللين وهو فعل يجسد القوة. " (فياض، 2017، صفحة 01) **إصطلاحا:** هو استخدام القوة بطريقة غير مشروعة من شأنها التأثير على أراء الفرد، يدل هذا العنف على وجود خلل في العلاقات الإجتماعية بين أفراد المجتمع نتيجة لإعتبارات ثقافية واجتماعية تؤدي الى العدوان ضد بعضهم البعض." (السطالي، 2018، الصفحات 14-15)

أما **منظمة الصحة العالمية 2002** فتعرفه بأنه " الاستعمال المتعمد للقوة الفيزيائية (المادية) سواء بالتهديد بها ضد الذات او ضد شخص آخر او جماعة او المجتمع بحيث يؤدي الى حدوث إصابة أو موت أو حرمان ..." (وسار، 2021، صفحة 264)

ومن هذا المنطلق فالعنف هو كل سلوك أو فعل يصدر عن فرد أو جماعة اتجاه فرد أو جماعة مهما كان شكله ماديا أو معنويا مباشرا أو غير مباشرا مقصودا أو غير مقصودا بدوافع وأهداف تحدث ضرر أو ايذاء اتجاه الأفراد والممتلكات.

2. **العنف ضد المرأة** :"هو كل فعل يمثل تدخلا خطيرا في حريتها وحرمانها من التفكير والرأي والتقرير و حرية السلوك ويتجاوز هذه الأذى العنف الجسدي ليشمل الأذى المعنوي والنفسي ،فهو كل فعل او قول او رأي أو علاقة من قبل أفراد المجتمع يلحق بها ضررا ماديا او معنويا ، يتمثل في التدخل في منعها من التعبير عن أرائها وسلوكها بحرية واستقلالية الى أداة لتحقيق أغراض ذكورية في المجتمع وهذا العنف أسبابه متعددة" (فياض، 2017، صفحة 01).

وعليه فالعنف ضد المرأة من خلال ما سبق من تعاريف هو: أي فعل يقع على المرأة وينتج منه أذى أو ضرر سواء كان هذا الاذى ماديا (ضرب،لكم ،عاهات ، إغتصاب ...القتل في اقصى درجاته)،او نفسيا ومعنويا ورمزيا (السب والشتم بكلام بذيء أو سلوك تحقيري، القذف ، الإهانة ، عدم الإحترام ...)او إجتماعيا كتفظيل الذكر عن الأنثى في الأسرة او العمل او التقسيم غير عادل للأدوار ... او أي شكل من أشكال المعاناة مثل التهديد، الإبتزاز او الإكراه ، الإجبارو الحرمان من الحقوق في الاسرة او المجتمع ..، يتسبب بأثار نفسية وروحية وجسدية لها .

3ـ التنشئة الاجتماعية :لغة :من الفعل نشأ بمعنى ربى وشب؛ أي ارتفع إلى حد الصبا وبلغ الإدراك، والإنشاء هو إخراج ما في الشيء بالقوة الى الفعل ". (همشري، 2013، صفحة 20)

أما إصطلاحا:" هي عملية اكتساب الفرد ثقافة مجتمعه ولغته ومعانيه ورموزه، والقيم والمعايير والقواعد التي تحكم سلوكه من خلال التفاعل مع الآخرين والتنبؤ باستجابتهم له." (همشري، 2013، صفحة 22). كما تعرف بأنها نوع من الضغط الاجتماعي الذي يمارسه المجتمع على الفرد لترويضه وتكييفه مع المنظومة الاجتماعية حيث يعرفها **اميل دوركايم** بأنها :"عملية استبدال الجانب البيولوجي بأبعاد إجتماعية وثقافية لتصبح هي الموجهات الأساسية لسلوك الفرد في المجتمع. " (فياض، 2015، صفحة 05)

إذا فالتنشئة الإجتماعية او كما تعرف بالتطبيع الاجتماعي حسب **العيسوي**

يقصد بها :" الآلية التي من خلالها يكتسب الطفل الحساسية للمثيرات الاجتماعية كالضغوط الناتجة عن المجتمع وإلتزماته ، ويتعلم الطفل فيها كيفية التعامل والتفاعل مع الآخرين ويصبح كائنا إجتماعيا يتعلم من خلالها العادات الاجتماعية وتساعده على التكيف والتلاؤمم مع تلك البيئة فيكسب اعتراف الجماعة به والقبول الإجتماعي ويصبح عضوا فعالا فيها ." (العيسوي، 1984-1985 الصفحات 183-184)

خلاصة القول من التعاريف السابقة يمكننا القول أن التنشئة الاجتماعية هي العملية التي من خلالها يندمج الفرد مع المجتمع، ويكتسب خصائصه وثقافته وقيمته والكيفية التي يتوافق بها معهما من خلال مؤسسات التنشئة، ودور المجتمع هو نقل الثقافة عبر أجياله لضمان استمراريتها ويحول الفرد من كائن بيولوجي الى كائن اجتماعي عن طريق التفاعل.

4ـ الهيمنة الذكورية: لغة:"ينقسم مفهوم الهيمنة الذكورية الى مصطلحين هما :(**هيمنة،ذكورية**) فالمصطلح الأول **الهيمنة** هي :من مصدر الفعل هيمن أي هيمن عليه ؛أي حفظه او سيطر عليه وإستولى اما المصطلح الثاني **الذكورية** تعني :خلاف الأنثو محوره عضو التناسل فيعد ركيزة التمايز والإختلاف بين الجنسين." (السيد، 2020، صفحة 325)

وإصطلاحا:تعني وفقا لقاموس مارشال **الهيمنة** هي:" الإستيعاب والإدراك المثالي لمصالح الطبقة السائدة على أنها مصالح عامة تهيمن على السلطة والثروة، أما **الذكورية** فهي :مجموعة من الصفات والخصائص المميزة لكل من الجنسين الذكر والأنثى ." (السيد، 2020، صفحة 325)

و الهيمنة الذكورية: كما يسميها **أر دبليو كونيل** الذكورية المهيمنة هي:" جزء من نظرية ترتيب وصراع النوع ، تعرف بأنها ممارسة تعطي الشرعية على مركز الرجل المهيمن في المجتمع وتبرر هذه الشرعية لمجرد كونه رجلا ،وتشرح لماذا يحتفظ الرجال بأدوار إجتماعية مهيمنة على النساء وهويات جندرية أخرى ينظر إليها على انها أنوثة في مجتمع معين تختلف بحسب الزمن والثقافة." (ويكيبيديا 2021)

من خلال ما سبق من أراء وتعريفات عن مفهوم الهيمنة الذكورية يمكن القول انه يقصد بها السيطرة والاستيلاء على مراكز القوة والسلطة في المجتمع او الأسرة او العلاقات، تقوم على أساس تقسيم النوع أي جنسانية ، ذكر كان وأنثى انطلاقا من المعيار البيولوجي والثقافي والتاريخي تعطي الأفضلية للذكر في الأدوار والسلطة ...والسيطرة على الإناث أو حمايتهم حسب مفهوم ثقافة المجتمع .

ب–تمثلات نظرية لظاهرة للعنف ضد المرأة في المجتمع الجزائري من خلال التنشئة الاجتماعية والهيمنة الذكورية.

أولا : العنف ضد المراة من منظور المقاربة الراديكالية النسوية:

فحوى إهتمام هذه النظرية في قاعدتها الإفتراضية هي: العلاقة بين الرجل والمرأة وترى أن هذه العلاقة محكومة بالنظام الأبوي أي سيطرة الرجل على المرأة بناءا على أوامر أبوية ، وركزت على العلاقة بين الجنسين وتحليل النظام الأبوي والذكوري إديولوجيا لكشف الاضطهاد الذي تعانيه المرأة، والقهر وأن العلاقات الإنسانية تنتج من خلال التبعية والعنف فهو مرآة عاكسة لذلك النظام في المجتمع وهو وسيلة الرجال في أسرهم او مجتمعاتهم لفرض هيمنتهم وسلطتهم من خلال استعمال العنف ."السلطة الأبوية تمنح الرجال الحق في استعمال القوة لمن يخضعون له وله مكانة أعلى وهو صاحب الأوامر وإتخاذ القرارات

، أما المرأة فدورها ثانويا هامشيا نتيجة الثقافة الذكورية السائدة في المجتمع ." (حسين، 2007، صفحة 111)

فالأساس في النظام الأبوي هو نفي وجود كيان مستقل للمرأة وإضطهادها فهو ذو نزعة تسلطية ترفض النقد ويعاقب كل من يخرج عنها سواء كان هذا العنف بشرعية عرفية قانونية ،تحدد لها حقوقها وواجباتها ضمن هذه القوانين او تمييز نوعي يقوم على أساس تفوق الذكور على الإناث إجتماعيا وبيولوجيا وبالتالي تستلب شخصيتها وتطمس أدوارها فيما عدا الدور الذي يظمنون فيه قضاء مصالحهم الخاصة والعامة ويخدم سلطتهم.

يقول **مصطفى حجازي** : "إذا أفلتت من القهر فهي لاتفلت مطلقا من الإستلاب إنها أداة رغم كل شيئ يطمس عقلها وتختزل في عالم الأسرة أو الزواج ،الذي يختبئ وراء حقوقه التاريخية وما يعطيه له من سلطة على شخصيتها لقاء تقديمات مادية تحظى بها تحدد لها وظيفة معينة ذات أبعاد عدة كلها تدور حول خدمة حياة الأسرة والمحافظة على تقاليدها، وتذوب كليا في هذه الأسرة حتى لا يبقى لها كيان ." (حجازي، 2005، صفحة 209)

مآلنا من هذه التوطئة أن المرأة في المجتمع والأسر الجزائرية تتعرض لتهميش واستيلاب عرف عدة أشكال ،والعنف أقصى درجات هذا الإستلاب كون المجتمع قائم بمشروعية عرفية اتخذت الثقافته التقاليد والأعراف السائدة أنوثة المرأة كحائل ومبرر لهذا العنف تغذيه قيم المجتبع الأبوي ليعطي لنفسه حق الوصاية على قراراتها والسيطرة على كيانها وصل الأمر لمنعها في بعض الأحيان من التعليم أو حتى مواصلته بدواعي الغيرة والشرف أو حمايتها وإبقائها في حدود البيت لخدمة أسرتها، ولعل المثل الشعبي التالي أبلغ في توضيح سيادة هذا الفكر في الذهنية الجزائريّ :{ **ماتعلم بنتك حروف ما تسكنها غروف**} فحسب هذه الرؤية لاداعي لتعليمها أو الإهتمام بها والتقليل من شأنها دورها يقتصر على خدمة البيت وأهلها مقابل بعض الإمتيازات كالحماية والغذاء....

تقول **غيردا ليرنر** موضحة :"الأسرة لا تعكس النظام في الدولة وتربي أطفاتلها على إتباعه وحسب؛ بل إنها تخلق ذلك النظام وتدعمه بإستمرار ،والنظام الأبوي لايمكن أن يعمل إلا بالتعاون مع النساء ، ويؤمن لهذا التعاون بعدة طرق كالفصل بين الجنسين والقيود، الإكراه ...والمهيمن عليهن يتغاضون ويقايضون الخضوع بالحماية والغذاء." (ليرنر تر:أسامة،الصفحات 420-421)

ولا ننسى أن العائلة الجزائرية والمجتمع الجزائري ككل يولي أهمية خاصة في تربية البنت ويحرص عليها أكثر من الصبي فتنشأ على قيم العادات والتقاليد وثقافة المجتمع والخضوع لها وطاعتها والقبول طوعيا لوليها المهيمن عليها؛ (الأب ،الأخ، الزوج،...) ،الذي له حق الوصاية عليها مهما كانت هذه الوصاية تستخدم من آليات؛ (العنف، التمييز ...) لفرض سلطتها الممنوحة لها عبر اساليب التربية والتلقين للقيم

والثقافة مستمدين ذلك من تأويلات دينية يبرورن بها هذا التلقين والفصل وقراءة ظاهر القرآن والأيات للإظفاء القدسية و والشرعية حتى لا يطعن فيها أحد للأنها عقيدة وتشريع ألوهي مقدس.

فنلاحظ التحدث كثيرا في المجتمعات الإسلامية اللأبوية والذكورية الشرقية والمجتمع الجزائري على وجه التحديد عن مصطلح القوامة والنساء ناقصات عقلا ودينا ، والأدهى من ذالك قامت ثقافة مؤسسة بقيمها وعاداتها على هذه التأويلات الخاطئة والجاهلة بالدين وأصول التفسير وشاعت بين الذهنيات وأسس لها روايات وأساطير وأمثال.

ومما لا شك فيه أن هذا الفكر غذته الثقافة الإستعمارية في المجتمعات العربية وساعدت في هذه التأويلات المغلوطة عن الدين لإسلامي الذي كرم المرأة وصانها وأوصى خيرا بالقوارير والمؤنسات الغاليات ، ففي المجتمع الجزائري يعود هذا الفكر في جزء كبير منه الى الثقافة الفرنسية الكولونيالية التي عملت على طمس الدين والهوية الجزائرية التي ظهرت أثارها في العادات والطقوس والتقاليد الغربية الجديدة عن المجتمع الجزائري المسلم المحافظ نتيجة نشر الجهل والخرافات والأمية بسياسات ممنهجة فساد هذا الفكر في الشخصية الجزائرية مع التقادم لطول فترة الإستعمار ،مما ورثنا فكرا ذكوريا ظل يتجدد ويعاد إنتاجه في ثقافتنا عبر التنشئة الإجتماعية واصبح العنف ميزة للرجولة والفحولة للشخصية الذكورية لفرض الهيمنة على نسائهم من منطلق الخوف عليها وحفظ الشرف من إعتداءات الجنود الفرنسيين، أو تفظيل الذكور الذي بقي راسخا رغبة في استزادة عدد الجنود لمقاومةالإستعمار والدفاع عن الوطن والمشاركة في الثورة والنساء مكانهم البيت لخدمة الأهل والإنجاب لتحقيق هذه الأهداف السامية لتحقيق الإستقلال.

لكن بعد إستقلال الجزائر بقي هذا الفكر راسبا إنحرف وتأول لثقافة ذكورية أمست تمجد العنف الراسب بدوره نتيجة العنف الذي تعرض له الجزائريين والمعاملة القاسية والتعذيب طيلة فترة الإستعمار(فرويد والشخصية الهو واللاشعور والكبت الراسب) فأصبح ما أخذ بالقوة لايرد إلا بالقوة في كل المجالات حتى في فرض الهيمنة والسلطة داخل الأسرة او خارجها ،وهذا ما جعل المرأة الجزائرية تعاني من عنف في التنشئة الإجتماعية والتمييز بينها وبين أخوها الذكر وورثت حتى الأدوار التقليدية التي كانت جدّاتها تقوم بها وبني جنسها انذاك لم تتغير إلا بشكل طفيف يواكب الوضع الراهن ،مثل ماجاء في المثل :**{ ربي يامول العزة يكبر(ذكر) ويدير الرزة (الهيبة والشأن)وربي يامول العزة تكبر وتحلب المعزة (انثى) }**.

يقول المؤرخ الفرنسي **بن يامين فاستينو** "الجزائر لها الصحراء والواحات...وكل الثروات لكنها مع كل هذا الجمال لا تملك إمرأة " " (واضح، 2020، الصفحات 178-179) أي سلبت وطمس كيانها واختزل ضمن أسرتها .

مما هو ملاحظ في الوضع الراهن لم تبق الأمور على هذا الحد بهذه الوضعية فالمرأة الجزائرية اصبحت تهيمن في بعض الحالات على السلطة والقرارات العائلية المصيرية على سبيل المثال: تزويج الأولاد واختيار شرسكهم

بمعاييرها هي في الغالب أو حتى انهاء العلاقات الأسرية والعائلية بيدها مصاريف البيت. كما يقول المثل الجزائري (ما يخسر بين الأحباب غير النساء والدراهم) ويقول (سوق النسا سوق مطيار يا الداخل رد بالك يورولك من الربح قنطار ويدولك راسمالك) . فاصبحت تتحكم الأسرة ونظامها الداخلي ويخضع لها الجميع وتعطى لها مهمة التنشئة والسلطة داخل البيت لارضائها وإن كان رب الأسرة رمزيا خاضع كنوع من التخلي عن الدور لها، ومنه انطلقت في المجتمع الى أدوار أخرى فأصبحت مساهمة في اقتصاد الأسرة وتساهم في السياسة وأدوار جديدة في المجتمع.

ثانيا :-العنف ضد المرأة من منظور التنشئة الإجتماعية:

الأسرة هي أول مؤسسة إجتماعية تربوية ينشأ فيها الفرد وبإعتبار السلوك العدواني يتم تعلمه وليس وراثيا فطريا يكتسبه الإنسان من خلال التعلم والتفاعل مع الآخرين، بالتعزيز والتدعيم أو كبحه وردعه (**نظرية التعلم الإجتماعي لدولارد**)و(**التفاعل الرمزي لجورج ميد**)نتيجة إحتكاكه بمجتمعه وأفراد جماعته وتقليده النموذج (**غابريال تارد التقليد الاجتماعي**)من خلال ملاحظة البيئة المحيطة به يتقمص الأدوار أو يحملها تلقائيا فيكتسب إيديولوجية ذلك النمط من التفكير ويتكيف مع دوره الجديد ومعايير مجتمعه .

تعتبر التنشئة الإجتماعية هي أولى الآليات الضبطية في الأسرة من خلال تطبيع الأفراد على ماهو متعارف عليه إجتماعيا وتعليمهم كيف يتكيفون مع القيم والمعايير السائدة في المجتمع، وذلك من خلال غرس التقاليد والرموز الثقافية في النظام الإجتماعي عن طريق الأسرة التي تتم فيها أولى مراحل التفاعل الإجتماعي وتلقين النشئ تقبل الإلتزام وتدريبهم عليه وفيها ينمو الضمير لديهم شيئا فشيئا اي يراقبو سلوكاتهم ذاتيا(**الأنا الأعلى؛الضمير الجمعي، فرويد**) اذا خالفوا أمرا ما فالعنف ضد المرأة حسب هذه النظرية يكون من خلال تسريب الثقافة الذكورية السائدة في المجتمع المشرعنة أساسا من النظام الأبوي ضد الأنثى من خلال الصور التي تقدمها التنشئة الإجتماعية عن المرأة ،وهذا معناه أن المجتمع أسس لهذا العنف وهذه النظرة السلبية من خلال العادات والتقاليد التي تحمل جذورا تاريخية تنحو إلى تصغيرها وانكارها وتقزيم وتحجيم أدوارها ،فتربى على الفظائل السلبية كالتفاني والخضوع والصمت والتضحية عبر تكريس السلطة الذكورية وتبعية المرأة من خلال آليات التربية الأسرية او التنشئة كالعقاب والعنف، بهدف تأديب الفتاة وهذا ماأكده رائد المدرسة السلوكية **باندورا** بأن كل السلوكات بما فيها العنف يتم تعلمها وتتوطد بالتعزيز الإجابي والتعلم بالملاحظة المباشرة بالتجربة وبالإضافة الى التعزيز، هناك التقمص من خلال ملاحظة أفعال الآخرين اي القدوة او النمذجة اي الأشخاص لايتعلمون قواعد السلوك فقط بل يقلدونها.

في المجتمع الجزائري المحافظ على عاداته وتقاليده التي تعتبر نموذجا لايمكن المساس به حيث يتعلم الرجال بملاحظة أبائهم وأجدادهم أو معايشتهم والإقتداء بهم سلوكاتهم واساليبهم الحياتية ،ونفس الامر بالنسبة للسلطة والهيمنة والعنف يتواراثونها كنهج قائم يحافظون عليه من أي إفلات أو تشوه من التغيرات الجديدة وهذه

الإيديولوجية في الجزائر ضاربة في تاريخها ."من الواضح ان الواقع الأبدي في التاريخ لايمكن أن يكون شيئا آخر غير نتاج عمل تاريخي بالتأبيد". (بورديو تر: سليمان، 2009، الصفحات 126-127)

تجدر الإشارة هنا أن قوالب النمذجة كامنة في الموروث الشعبي الجزائري بكل أشكاله وروافده ساهم بشكل معلن صريح أو خفي عن ثقافة العنف وشيوع تداوله على الألسن كأسلوب وثقافة حياة وتربية يومية، تظهر في الممارسات يحمل صورا سلبية عن المرأة يساهم في توجيه الذهنيات وإعادة إنتاج التبخيس التاريخي لها يقول المثل: **{بصح المرا تبقى مرا }** مهما كانت مكانتها وأدوارها تبقى إمرأة لا شأن وأهمية لها.

بالعودة لتلك الجذور التاريخية تظهر جليا صورة المرأة ودورها في الكتابات الأولى للفلاسفة الإغريق الذين عبرو عن المكانة الوضيعة التي إحتلتها الأنثى في الأنظمة العبودية التي كانت سائدة يحكمها النظام الأبوي أنذاك ،فيرى **افلاطون** "المرأة شريرة بطبعها فلآلهة صنعت الرجل كاملا شريطة المحافظة على كماله وفي حالة الإخلال بذلك يعاقب أن يبعث ثانية في صورة إمرأة أما **أرسطو** فيرى أن الطبيعة فظلت الرجل أكثر عقلا وكمالا على المرأة،ونفس الأمر في الفكر العربي لاقت المرأة الكثير من مظاهر القهر والظلم والتمييز والإظطهاد من قبل بعض رموز الفكر السائدة سابقا يقول **العقاد** "إن المرأة حيوان شقي مدفوع بالغريزة الجنسية وأنها فاقدة للعقل والإرادة " (كرادشة، 2009، صفحة 09)،

فالمرأة عانت كثيرا عبر التاريخ ولازالت تعاني من رواسب ذلك التاريخ وأفكاره المجحفة لدى أغلب الشعوب وخصوصا العربية لذلك لانستغرب العنف المتدفق اليوم من قبل الرجال تجاه النساء فهو إستمرار فكري لعصور خلت ويؤكد هذا الطرح **جون ستيوارت ميل** بأن:" الوضع الحالي للمرأة قد نشأ منذ البدايات الأولى للمجتمع الإنساني ففي فجر التاريخ وجدت المرأة نفسها في حالة عبودية لرجل ما ،ربما بسبب قواها البدنية ثم بدأت النظم السياسية والقوانين كما هي الحال دائما بالإعتراف بالوضع القائم والعادات والتقاليد والعلاقات الموجودة بالفعل ،ثم تحولت الى قوانين لأن القوانين ليست سوى تلخيص للأوضاع السائدة والإعتراف بها وبالتالي تحويلها الى حق قانوني وتضفي عليها مشروعية بإقرارها بواسطة المجتمع". (ميل تر :إمام، 1998، الصفحات 11-12)

المرأة وإن كانت تخضع لتنشئة إجتماعية تحجم أدوارها وتجعلها تنحو للتبعية والصمت والإتكالية للرجل، فالرجال أيضا تفرض عليهم ممارسة السلطة ومظاهر القوة إلزاميا لتأكيد الرجولة وفرض الخضوع عبر التطبيع الذي يعاد إنتاجه حسب التوجيهات التي يمليها المجتمع على كل شخص في مراكزهم ومكانتهم، بوضعهم في قوالبهم المحددة لهم مسبقا حسب الثقافة المهيمنة في المجتمع والمهيئة لتلك الادوار لكلا الجنسين يقول **راد كليف براون** :"الأدوار الإجتماعية هي كل الأنماط الثقافية المرتبطة بمركز معين أو الجانب الديناميكي الذي يجب على الأفراد الإلتزام به وتأديته حتى يكون مركزه سليما" (دبابنة و نبيل، 1984، صفحة 61) وهكذا فإن طرق المعاملة والتنشئة التي يتلقاها الجنسان تكون مختلفة تماما، فالذكر يربى على تأكيد الذات وإبراز القوة والبنت على الصمت والممنوع وعدم اتخاذ القرارات بنفسها وتبعيتها للرجل و تبدأ بوادر التمييز بينهما منذ

الولادة فتقول **نوال السعداوي** في هذا الصدد " الفتاة تتعلم أن تجلس وتضم ساقيها وتخجل من جسمها ثم تنتظر دورها السلبي في الحياة كإمرأة ، أما الرجل فيحرك ساقيه بحرية ويفخر بجسده ويدخل في عالم الرجال بإيجابية ولو أن البنت تلقت نفس التربية التي يتلقاها الولد لما كانت تلك الفروق بين الرجل والمرأة " (السعداوي، 1990، صفحة 53)، التنشئة الإجتماعية تهيء للرجال دور السلطة والنساء القبول لتلك السلطة ويتعلمون العنف من خلال إدراكهم لتلك الأدوار التي تعتبر جزءا من الشخصية الكارزمية الذكورية ، يقول **عباس مكي** "جسد المرأة مازال مادة غنية للتشريع يحدد المسموح والممنوع من تحركات الجسم وتعبيراته ومتطلباته تبعا لأنماط مقبولة إجتماعيا،أي في النهاية يخدم مصلحة المهيمن الذي يملك جسدها سواء كانت قوة المنع هذه مدنية أو ذات تحريم ديني، تربط جسد المرأة بقيود الخطيئة ومشاعر الإثم". (حجازي، 2005، الصفحات 214-215) فالقيود المفروضة على الفتاة تكون من الخصائص البيولوجية الجسدية التي تحدد الحرام والحلال ."الحركية الحرة للجسم أساس معنى العيب وظبطها المقنن أساس معنى الشرف". (حجازي، 2005، الصفحات 214-215)

فالجسد تاريخيا هو المؤسس لقوانين التحريم والمنع والمقبول والممنوع وضعت مفاتيحة في يد الذكور .يبدأ العنف ضد المرأة في الأسرة الجزائرية منذ الولادة فتبدأ التنشئة بتمييزها عن الذكر فهو يعتبر مكسب للعائلة ومصدر فخر وعزوة وقوة في الوسط الذكوري بينما الفتاة عبء تربى منذ بداية وعيها أنها هامشية في مجتمعها وأسرتها ،وعليها تقبل وضعها والتعود عليه وخدمة الذكور في مجتمعها فأولا أبوها وأخوهاُ ثم زوجها وأهل زوجها مستقبلا، يظهر ذلك من خلال طقوس إستقبال المولود في العائلة الجزائرية وطرق التنشئة لكلا الجنسين (العقيقة ، حلق الرأس لأن الشعر دلالة على الأنوثة ، الختان بمثابة دخول عالم الرجال ، لعب الفتيات بالدمى والذكور بالأسلحة والسيارات تجهيزا للأدوار المستقبلية عبر هذه الرموز ومن خلال التفاعل مع هذه الصور ...)يتم هذا بالتفاعل لتكوين صورة الذات "يتعرف على صوره نتيجة هذا التفاعل مع الآخرين فلآخرين هم مرآة الفرد يرى نفسه من خلالها" (رحيمة، 2004-2005، صفحة 83)

يقول المثل : {**الولد فرحة ولو قد القمحة** } أما إستقبال الأنثى يكون صامتا حزينا للأم لأنها فشلت في إسعاد مجتمعها الذكوري بإنجاب الذكر دلالة على قبولها هذا النظام الذكوري وإستلابه لها لعل المثل التالي خير دليل على هذه الصورة المعطاة عن إنجاب الأنثى وأنها مصدر عار وتهديد للشرف {**دفن البنات من المكرمات ، وبيت البنات خراب** }.هذه الأمثلة من الثقافة الجزائرية تعبرعن الهوة بين تربية الفتيات والذكور والعنف المعلن عبر هذه الثقافة {**مأحلى فرحتهم لو ماتو بساعتهم** } أي تمني موت البنت عند ولادتها ولا تربيتها وجني عارها وعبئها "تتجمع في شخصية المرأة أقصى حالات التجاذب الوجداني فهي أكثر العناصر الإجتماعية تعرضا للتبخيس في قيمها وعلى جميع الأصعدة ،الجنس ، الجسد،الفكر،الإنتاج،المكانة ...،تتفاوت مكانة المرأة في نظر الرجل والمجتمع عموما بين أقصى إرتفاع(الأمومة)وبين أقصى حالات التبخيس (المرأة العورة)

رمز العيب والضعف القاصر الجاهل ،التي يمتلكها الرجل لمنافعه المتعددة لاحرية لها ولا كيان ملكية الأسرة منذ أن تولد حتى تموت مكانتها فيما أريد لها أن تكون ليس إلا. " (حجازي، 2005، صفحة 199)

الجدير بالذكر والغريب في الأمر أن المرأة مدركة تماما للعنف الواقع عليها رغم ذلك تتقبله وتجد له تفسيرا وتبريرا والأمر المقلق أنها تعيد صياغته بمختلف الآليات كالخطاب الشفوي الشعبي في التنشئة الإجتماعية فتلعب دور الضحية وتظهر الضعف**{ آمن للحية ولاتآمن للمرا}**. فالمرأة تظهر كائن ضعيف وهن لكنها في الحقيقة سامة كائدة تخفي القوة وتدعي تأييد الرجل لتكسب وده والمزيد من السلطة والهيمنة وإن كانت شكلية لضمان مكانة أعلى في عالم الرجال كنوع من منافسة بني جنسها النساء فتتحداهم (الجدة في العائلات الكبيرة او الأم)لتتفوق عليهم وتحصل على الهيمنة في العائلة ولو كانت هذه السلطة شكلية إلا أنها تؤسس لثقافة ذكورية وتأخذ السلطة وزمام الحكم من بين أيديهم بإظهارالخضوع والولاء للنظام الأبوي فيسلمها مفاتيح القيادة معتقدا أنه الحاكم الفعلي وسيدها إلا انه يملك السيادة شكلا أما مضمونا فتأخذه الأنثى بأساليبها الخاصة {**المرأة عقرب حلوة اللسان،الي مايقدر عليه الشيطان تقدر عليه المرا، ثلاثة مافيهم لمان لمرا والبحر والسلطان}**. هذه الأمثال توضح كيد النساء وقوتهم وتحذر من أهوائهم وتقلب أحوالهم وخداعهم ولاننسى التاريخ الذي أثبت حكم النساء في عصور خلت وتفوقن على أعظم السلاطين وأشدهم بأسا وأثبتو قوة المرأة وما كانت تتمتع به في مجتمعاتها(الملكة بلقيس، نيفرتيتي الكاهنة كليوباترا ملكة جانسي ...) وكيف أسسو مماليك تحكمهم إمرأة ويخضع لها الذكور والإناث والأمر نفسه مازال قائما من خلال مشاركة المرأة في السياسة والأدوار التي كانت سابقا حكرا على الرجال (الشرطة الجيش البرلمان ...)لكن هذا لايعني أنه لاتوجد رواسب الثقافة الذكورية في الذهنية الجزائرية وأنها أصبحت من الماضي بل لازالت قائمة تصارع إعادة الإنتاج لإستعادة مجدها عبر العنف والتميز الذي ينبغي التوقف عنده .

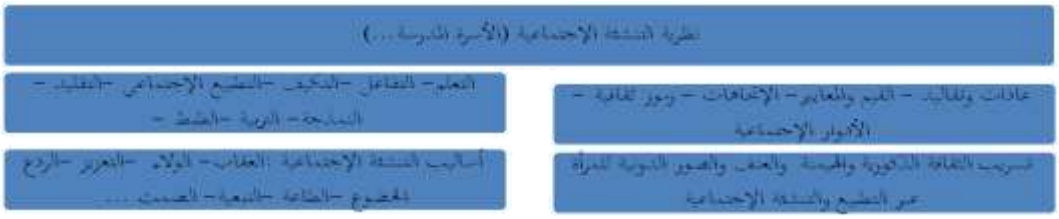

ثالثا :المنظور البرديوي للعنف والهيمنة الذكورية:

يوضح عالم الإجتماع **بيير بورديو** العنف الرمزي والهيمنة الذكورية ودور التنشئة الإجتماعية في ترسيخ هذين المفهومين في ثقافة المجتمع وإعادة إنتاج تلك الثقافة والعنف أو كما يسميه العنف الثقافي كهابيتوس يمارس

بشكل غير محسوس وناعم لضحاياه لإعتماده على الطرق الرمزية لفرض هيمنته كأنها عنف طبيعي بين الرجال والنساء بمعايير إديولوجية ذكورية من خلال ما أسماه بالجسد الذي هو مقياس التمييز والفصل الجنسوي بين الذكر والأنثى "يروض الجسد حتى يكتسب هوية جنسية فيكون في نهاية المطاف نظاما إجتماعيا مهيكلا ناتج عن التنشئة الإجتماعية تنعكس على باقي المجالات الأخرى". (بورديو و تر: سليمان، 2009، صفحة 28)

فالإختلافات المرئية بين الجسد الذكوري والأنثوي هي من صنع الثقافة والقيم السائدة في النظام الذكوري وتسهم النساء بشكل لا واع فيها فيشترك الجلاد والضحية في تبني التصورات والإتجاهات التبخيسية وهو ما يعني إعادة إنتاج الهيمنة "النظام الإجتماعي بإعتباره آلة رمزية يصبو إلى إعادة الهيمنة الذكورية يؤسس لها كل الظروف لفرض ممارستها والحضور المعترف به للرجال كونيا ". (بورديو و تر: سليمان، 2009، الصفحات 27-60)

فتلعب الثقافة الجزائرية دورا في تشكيل شخصية الفرد الجزائري ذكرا كان أو أنثى فتأخذ المرأة الصورة الدونية ويأخذ الرجل الهيمنة من خلال التنشئة التي توزع الأدوار والسلطة، فالأسرة هي صانع الإتجاهات والمواقف وممهد لها "الأبناء لا يختارون ثقافتهم بل الأهل هم الذين يفعلون ذلك." (زبيري و محي الدين، 2018، صفحة 42)

بإعتبارها جماعة أولية يكتسب فيها الأدوار ويتم فيها التفاعل،ويؤكد **بورديو** أن الإختلاف بين الذكر ولأنثى قائم إعتباطيا في الثقافة التي تذكر الذكّر وتأنث الأنثى من خلال الجسد وتحول كل ماهو بيولوجي وجعله واقعا إجتماعيا مسلما به للجنسين ويأخذ هذا التفاوت بعدا طبيعيا وهذا فصل تعسفي يأسس للعنف فحسب الفكر السائد" **النساء أجساد وأرحام ومواد"**.

نستخلص أن المجتمع هو الذي ينتج الرجل والمرأة على حد سواء ويضع لكل منهما الحدود التي يسيرون عليها ولا يتعدونها ،فالتربية في المجتمع الجزائري للأنثى تختلف عن تربية الذكر فهو توّرث فيه صفات القوة والشدة والفحولة والعنف والقسوة، أما البنت فتكتسب الصبر والتحمل والليونة والخنوع والطاعة والتفاني والتضحية ،يعّود الذكر على القيادة والمسؤولية منذ الضغر والبنت على الأعمال المنزلية وتدمج في عالم النساء وتحرص الأم بتربيتها حرصا شديدا وتفرض عليها رقابة صارمة لتتباهى بها أمام النسوة مستقبلا وأمام أهل زوجها"مبدأ الدونية والإضطهاد والممارسات القصرية على المرأة تغذيه الطقوس والممارسات التي تتجلى بوضوح في مؤسسة الزواج بإعتبارها شيئا يملكه الرجل وتختزل إلى رأس مال رمزي." (بورديو و تر: سليمان، 2009، صفحة 76)

وأي خطأ في سلوك البنت تعاقب أمها (قد يصل إلى الطلاق) لإنها لم تحرص على تربيتها وتتحمل وحدها المسؤولية وعارها (فقدان الشرف ، العار والفضيحة ...) يقول المثل:{**اقلب القدرة على فمها تطلع الطفلة لمها**} تربيها على قاموس خاص بالأنثى(عيب،الشرف، حشمة، حرمة ،الأصل ...) ، فلأم هي معيار صلاح

البنت من عدمه ونجاحها مرهون بها، فأنوثتهن هي سبب العنف والفصل."إنهن موجودات من أجل الآخرين ونظرتهم جاهزين ينتظرمنهن أن يكنّ متحفظات ومنزويات ". (بورديو تر: سليمان، 2009، صفحة 103)

فالبنت أدوارها ضمن أسرتها تعمل لخدمتها وليس لها كيانها المستقل فهي تختزل من أجل الذكر ووجدت له ، عليها أن تكون جاهزة ومتقبلة لما يطلبه منها المجتمع وثقافته ضمن ماسطر لها من مكانة ووظائف ولاتخرج عنها."فكلمة رجل في البيئة الجزائرية إلى وقت قريب للآن كلمة فوقية تمارس حق الوطء على نحو مايمارسه الرجل على المرأة بلا معيارية، وحين تعلو كلمة المرأة فإنها حقا تعرب عن شذوذ لاتتقبله البيئة ويكون الرجل قد تقهقر إلى وضع من المعرة لا يطاق". (عشراتي، 2009، صفحة 250)

فالرجولة تكليف ثقيل يستوجب قابلية للصراع والإقدام على ممارسة العنف والقوة لمنع تجاوز المرأة على هيمنته فحسب **بورديو** الرجال يعانون توترا نفسيا وإجتماعيا كبيرا من فقدان تقدير الآخرين لهم كالنعت بالجبن والوصم وهذا مايبرر إندفاعهم للعنف والقسوة بسبب معاناتهم الخاصة "الرجولة مرادف للقوة قابلة للصراع والعنف ...وضعت من أجل الرجال الآخرين ضد الأنوثة على شكل خوف من المؤنث داخل النفس ذاتها "بورديو تر: سليمان، 2009، الصفحات 84-86)

العلاقة التي تجمع بين الرجل والمرأة هي علاقة رضى تام لا تعلي من شأن الرجل ولا تهين المرأة او تحط من قدرها تحظى بدرجة كبيرة من الإحترام والقداسة خالية من التسلط والهيمنة إلا من بعض الحالات الشاذة والنفوس المريضة وعقد النقص(**سغموند فرويد**).والتي لا يمكن تعميمها على كل المجتمع الجزائري،"هذا ما سماه **بورديو** بالحب الذي يعكس علاقة الهيمنة كليا بإعتبارها مقبولة ومجهولة ومعترف بها عمليا."(بورديو تر: سليمان، 2009، صفحة 162).

فالعلاقات الأسرية متكاملة وتسودها المودة والرحمة بين الزوجين وأفراد الأسرة من خلال التعاليم الدينية والاخلاقية السمحة فهن المؤنسات الغاليات ورفقا بالقوارير والإحسان والعدل والمساواة التي نادّ بها الدين وتظهر في الثقافة الجزائرية بوضوح ، وهذا ما أكده المفكر الفرنسي **ميشيل فوكو** بأن السلطة بمفهومها التقليدي قد تغيرت في العلاقات الإجتماعية والعقلانية الذكورية ، وأصبحت من الماضي ويجب إعادة النظر في الدور الموازي الذي أصبحت تلعبه الأنثى في السياسة والفن والخطاب والكتابة وتطورت أدوارها كليا ،من خلال إدراكها لأهمية التنشئة الإجتماعية المخولة لها بشكل واع في تربية جيل جديد في صفها وبالتالي مجتمع بفكر وإديولوجية جديدة تقصي الهيمنة الذكورية وتتمرد على النظام الأبوي وترسخ العدل والمساواة بين الجنسين .

خاتمة:

من خلال ما سبق يمكن القول أن العنف الذي عرفته المرأة في العصور السابقة لازالت تعرفه في حاضرها وفي ثقافة المجتمعات المعاصرة وان اختلفت النظرة لها ولمكانتها وأدوارها عما كانت عليه واختلفت أشكاله وصوره التي يأتي بها، فالنظرة الدونية والقيمة المنحطة والخاطئة المتجذرة في الثقافة الشعبية تأتي في مقدمة الأسباب التي ساعدت في تنامي ظاهرة العنف ضد المرأة وانتشارها وذلك لما يرتبط بهذه الثقافة من تمييز سلبي قادر على أن ينتج امرأة مستسلمة خاضعة يمكن أن سمارس عليها العنف، وتقوم على انتاج نظام تهميشي تمييزي ينتج الهيمنة والسلطة ويحرص على اعادة انتاجها عبر قنوات التنشئة الاجتماعية وغيرها من جملة الأسباب الأخرى..

لذا لابد من إعادة النظر في منظومة هذه التصورات التقليدية للمرأة في الثقافة والذهنيات والموروثات والتقاليد وبنيات المجتمع واصلاحها انطلاقا من التنشئة الاجتماعية.

قائمة المراجع

1. بيير بورديو، تر: سليمان قعفراني. (2009). *الهيمنة الذكورية*. بيروت: المنظمة العربي للترجمة.
2. جون ستيوارت ميل، تر :إمام عبد الفتاح. (1998). *إستعباد النساء*. القاهرة: مكتبة مدبولي.
3. حسام الدين فياض. (2017). *العنف ضد المرأة -(الإغتصاب الجنسي نموذجا)*. نحو علم إجتماع تنويري.
4. حسام الدين فياض. (2015). *مفهوم التنشئة الإجتماعية وأساليب المعاملة الوالدية*. نحو علم اجتماع تنويري.
5. حسين زبيري، قنفود محي الدين. (30 12، 2018). مظاهر هيمنة السلطة الذكورية من خلال عملية الإتصال السياسي في فترة الإنتخابات المحلية في الوسط الريفي. *مجلة الإبراهيمي للعلوم الإجتماعية والإنسانية* (العدد03).
6. سليمان عشراتي. (2009). *الشخصية الجزائرية الأرضية التاريخية والمحددات الحضارية*. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
7. شرقي رحيمة. (2004-2005). *أساليب التنشئة الإجتماعيةوإنعكساتهاعلى المراهق- رسالة ماجستر في علم إجتماع العائلي*. باتنة: جامعة الحاج لخظر.
8. شهرزاد واضح. (مارس، 2020). مظاهر الهيمنة الذكورية على المرأة في المجتمع الجزائري الحديث في ضوء الكتابات الكولونيالية - بداية الإحتلال-. *مجلة عصور الجديدة ، المجلد 10* (العدد 01).
9. طه عبدالعظيم حسين. (2007). *سيكولوجية العنف العائلي والمدرسي*. الإسكندرية: دار الجامعة الجديدة.

10. عبد الرحمان العيسوي. (1984-1985). *سيكولوجية التنشئة الإجتماعية*. الإسكندرية: دار الفكر الجامعي.

11. عمر أحمد همشري. (2013). *التنشئة الإجتماعية للطفل*. عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع.

12. غيردا ليرنر، تر: أسامة إسبر. *نشأة النظام الأبوي*. المنظمة العربية للترجمة.

13. مصطفى حجازي. (2005). *التخلف الإجتماعي - مدخل الى سيكولوجية الإنسان المقهور*. المركز الثقافي العربي.

14. منير كرادشة. (2009). *العنف الأسري - سيكولوجية الرجل العنيف والمرأة المعنفة* - (الإصدار جامعة اليرموك). أربد، الأردن: عالم الكتاب الحديث .

15. ميشيل دبابنة، و محفوظ نبيل. (1984). *سيكولوجية الطفولة*. عمان: دار المستقبل.

16. نرمين حسن السطالي. (2018). *سيكولوجية العنف وأثره على التنشئة الإجتماعية للأبناء*. مصر: السعيد للنشر والتوزيع.

17. نهى محمد أحسن السيد. (أكتوبر، 2020). آليات بناء الهيمنة الذكورية وعوامل إستبعادها- دراسة مقارنة بين الريف والحضر في ضوء رؤية كونيل-. *مجلة البحث العلمي في الأداب ، الجزء الثامن* (العدد 21).

18. نوال السعداوي. (1990). *المرأة والجنس*. دارومطابع المستقبل بالفجالة والإسكندرية.

19. نوال وسار. (2021). *العنف الرقمي ضد المرأة -امتدادالظاهرة وتعدد الأشكال*. الجزائر جامعة ام البواقي: مجلة الرواق للدراسات الإجتماعية والإنسانية.

20. *ويكيبيديا*. (4 ديسمبر، 2021). تم الاسترداد من ar. m . wikipidia.orj / wiki